

كلمة لرئيس الحكومة الإسرائيلية، إيهود أولمرت، أمام الكنيست في ذكرى مرور 60 عاماً على قرار تقسيم فلسطين* القدس، 2007/12/3

أيها فخامة رئيس الدولة السيد شمعون بيرس ،
أيتهنا رئيسة الكنيست السيدة داليا إيتسيك ،
أيتهنا سعادة القاضية دوريت بينيش رئيسة المحكمة العليا ،
أيها رئيس المعارضة السيد بنيامين نتانياهو ،
أيها أعضاء الحكومة ،
أيها السفراء وأعضاء السلك الدبلوماسي الكرام ،
أيها الحضور والضيوف الأعداء ،
أيها أعضاء الكنيست ،

كان بنيامين زئيف هرتصل [مؤسس الحركة الصهيونية] الذي تم نقش صورته على حائط هذا المقر قد كتب في مفكرته في مدينة بازل السويسرية السطور التالية ملخصاً بكلمات خالدة لن تصبح طي النسيان المؤتمر التأسيسي للحركة الصهيونية:

"إذا ما جاز لي التعبير عما تم إنجازه في مؤتمر بازل بالحرف الواحد فسوف يكون كالتالي: لقد أسست في بازل دولة اليهود. لو قلت ذلك على الملأ حالياً لكان الجميع يتضحكون من كل حذب وصوب غير أن الجميع سوف يقرّون بهذه الحقيقة ربما بعد خمس سنوات أو بعد خمسين سنة على الأكثر."

وبالفعل، وبعد مضي خمسين عاماً على وجه التحديد، أي يوم التاسع والعشرين من شهر نوفمبر تشرين الثاني 1947، أقرت رابطة الأمم بحق الشعب اليهود في دولة قومية في وطنه القديم الذي يتوق إليه ألا وهو أرض إسرائيل. وبالتالي صارت رؤية هرتصل كياناً سياسياً واضح المعالم.

إنني أود في مستهل كلامي أن أقدم مجدداً من على منبر الكنيست نيابةً عن الشعب اليهودي الشكر والامتنان والإطراء غير المحدود لتلك الأمم التي رفع ممثلوها أياديهم وكشفوا ضميرهم تأييداً لمشروع القرار الذي طُرح على الجمعية العامة للأمم المتحدة قبل 60 عاماً. أيها سفراء تلك الدول المعتمدين لدى إسرائيل ، إنكم ضيوف الشرف لهذه الجلسة الخاصة.

أيها مبعوثو الأمم العريقة، إنكم تشهدون المعجزة الكبيرة التي صنعها الشعب اليهودي لينهض من هوة المحرقة السحيقة ويصعد إلى قمة النهضة الوطنية. لقد قمنا بذلك رغم ضآلة الاحتمالات وخطورة التهديدات؛ إننا حققنا حلم الأجيال المتعاقبة وأنشأنا بجهد جهيد وتضحيات جمة دولة ديمقراطية حرة مزدهرة كثيرة المنجزات تنصدر في مجالات عديدة التقدم التكنولوجي في المعمورة جمعاء.

إنها دولة لا نظير لها من حيث المشاكل والصعوبات التي تثقل كاهلها كما أنها محفوفة بالعداوات وتواجه التحديات الجمة إلا أنها رغم كل ذلك تحقّق الإنجاز تلو الآخر. إنها تصنع بيدها السلام وتشدّد قبضتها للسياق في يدها الأخرى.

* المصدر: موقع ديوان رئيس الحكومة الإسرائيلية في الإنترنت
<http://www.pmo.gov.il/PMOAr/>

إن شعبنا موغل في القدم حيث تمتد ذاكرته التاريخية على مدى آلاف السنين المليئة بالمشقة والعناء. بيد أن الشعب اليهودي تمتع مساء السبت الموافق التاسع والعشرين من شهر نوفمبر تشرين الثاني قبل ستين عاماً ببهجة ونشوة عارمة لم يعرفها منذ خراب الهيكل المقدس قبل ذلك بألف وثمانمئة وسبع وسبعين سنة.

لقد أحسن الكاتب الشهير عاموس عوز وصف هذا المشهد في كتابه "حكاية المحبة والظلام" حيث قال:

"لقد تمت تلاوة أسماء الدول الأخيرة المدرجة على هذه القائمة الواحدة تلو الأخرى.. بريطانيا العظمى - إمتناع، الاتحاد السوفياتي - نعم، الولايات المتحدة - نعم، أوروغواي - نعم، فنزويلا - نعم، اليمن - لا، يوغسلافيا - إمتناع عن التصويت.

ثم لاذ بالصمت بصورة مباغته. وفجأة حل السكون التام ليجمد المشهد، وكان هذا السكون مرعباً يندب بالكارثة، وجوم لجموع غفيرة من الناس الذين يحبسون أنفاسهم بصورة لم أشهدها قط طيلة حياتي قبل تلك الليلة وبعدها..

إلى أن عاد الصوت الخشن المبجوح بعض الشيء ليَهزُّ أوتار الجو المحيط عبر أمواج الأثير ويلخص بنوع من الغلظة الجافة والمليئة بالبشاشة في آن: ثلاث وثلاثون دولة تدعم مشروع القرار، ثلاث عشرة تعارضه، وعشر دول تمتنع عن التصويت ودولة أخرى غابت عنه. إن مشروع القرار قد تم إقراره.

وفوراً غطى الضجيج المنبعث من جهاز الراديو على صوته ليفيض وينساب من المدرجات الهائجة بالفرح في قاعة لايك ساسكس الأميركية [حيث جرى التصويت]، وبعد مرور ثانيتين أو ثلاث من الدهشة، من الشفاه المفترّة وكأنها تعطش إلى المياه والعيون المتسعة بصدمة، ثار الشارع النائي حيث نقيم في مشارف حي كيرم أبراهام في شمال أورشليم القدس ليطلق صرخة أولية فظيعة تشق الظلام والعمارات والأشجار وتخرق نفسها. إنها لم تشبه صيحات الفرحة أو هتافات جماهير ملاعب الرياضة ولم تماثل هيجان الجموع المنفعلّة بل لعلها كانت من قبيل صيحات الفرز والرعب التي تنذر بالكارثة وتهز الأحجار الراكدة وتجمد الدم في العروق، وكأن جميع القتلى السابقين واللاحقين قد فتحت أمامهم نافذة الصراخ لتقفّل بعد لحظة وتبديل صيحات الفرز الأولية بهدير الفرحة وخليط من النداءات المخنوقة وهتافات < يعيش شعب إسرائيل >، ثم حاول أحدهم عبثاً غناء النشيد الوطني وسط زعيق النساء والتصفيق الشديد وترديد أغنية < هنا في الأرض التي عشقها الآباء والأجداد.. >

وبدأت الجموع الحاشدة تتحلق رويداً رويداً حول نفسها وكأنها تختلط بخلاطة ضخمة ولم يعد هناك من حلال وحرام."

هكذا صاغها الكاتب عاموس عوز.

إن الأمم المتحدة كما يعرف القاصي والداني ليست جمعية خيرية بل ساحة غالباً ما تكون تهكمية تتفاعل فيها المصالح الوطنية الأنانية. لم يكن للشعب اليهودي ما يقدمه لممثلي الأمم الذين اجتمعوا في نوفمبر تشرين الثاني 1947 ليقرروا مصيره. وبالتالي فإن كل من صوت ب " نعم" في الجمعية العامة قام بذلك من منطلق وجداني وأخلاقي محض مما يضعه موضع التقدير والاحترام أضعافاً مضاعفة. إن هذا التصويت منقوش إلى أبد الأبدين بحروف من ذهب في سجل تاريخ الشعب اليهودي.

أيتها السيدة رئيسة الكنيست، أيها الحضور الكرام،

إن غمرة الفرحة التلقائي العارم الذي أحاط بالتجمعات السكنية العبرية في أرض إسرائيل عندما تبينّت نتائج التصويت في لايك ساسكس [مقر الأمم المتحدة آنذاك] لم تعكس الإجماع على فكرة التقسيم حيث كان هناك العديد من أعضاء الحركة الصهيونية الأفاضل من اليسار واليمين على السواء الذين اعتنقوا قلباً وقالباً فكرة شمولية

أراضي الوطن ولم يكن بوسعهم التسليم بتقطيعها وتقسيمها.

إنني ترعرعت وتربّيت في عائلة كانت تسير في ركاب الزعيم [الصهيوني اليميني] زئيف جابوتينسكي، وكان والدي المرحوم مردخاي (الذي أصبح فيما بعد نائباً في الكنيست) من المعارضين بقوة لخطة التقسيم وفاءً لأرض إسرائيل الكاملة ومحبةً صادقة لها. إنني أحنو برأسي تواضعاً وإعجاباً بشخصيته وذكراه لكنني أجد نفسي مرغماً على الإدلاء بكلمات ربما كانت تجعله يطلق تنهيدة احتجاج: لقد صدق بن غوريون!

لقد كانت فكرة عدم قابلية الأرض للتجزئة سامية ولا تزال، لكن الضرورة اقتضت بعد هلاك الملايين الستة [ضحايا المحرقة النازية من اليهود] التسليم بما كان من الممكن تحقيقه آنذاك وإنشاء الدولة. إنها الحقيقة بعينها. إذ إن الخيار الذي وقف أمامنا قبل ستين عاماً ولا يزال يجعلنا نختار ما بين دولة يهودية في جزء من أرض إسرائيل وبين دولة ثنائية القومية في هذه الأرض كاملة. إن الخيار القاضي حالياً بقيام دولتين وطنيتين يهودية وفلسطينية يمثل الطريق الوحيد ليس إلا.

رغم كل الشكوك والمخاوف التي لا أتجاهلها مطلقاً، ورغم ما ينتظرنا مستقبلاً من صراع وجدل على حدود الدولة وصون مكانة أورشليم القدس عاصمة لها، إلا أننا لا نستطيع المبالغة في أهمية المشهد الحالي.

إنني لا أقلل من خطورة الصعوبات ولا أستخف بالمخاطر ولن أتخلى أبداً عن الثوابت الأمنية، ولكن طالما بقيت فرص إحلال السلام قائمة فإنني سأستنفدها عن آخرها.

أيها الحضور الكرام،

لا أريد اليوم محاسبة جيراننا الفلسطينيين أو الدول العربية لرفضهم قرار التاسع والعشرين من نوفمبر تشرين الثاني [1947 أي قرار التقسيم] ومباشرتهم الحرب ضدنا. بيد أنه من الأهمية بمكان أن نعيد نحن إلى الأذهان - فليشهد العالم بأسره - عدالة الموقف الإسرائيلي، إذ إننا سلّمنا بحل التقسيم الوسطي في اللحظة الحاسمة المصيرية قبل ستين عاماً فيما رفضه الجانب الآخر وخاض غمار الحرب.

إن كل ما جرى منذ ذلك الحين على صعيد النزاع كان بمثابة نتيجة مأساوية للمقاومة العنيفة لمشروع التقسيم المشار إليه والذي لن يتكرر أبداً. إنني لا أغض الطرف عما ابتلي به الفلسطينيون وإن كان ذلك نتاجاً للحرب التي بادروا إليها وللفرص العديدة التي أضاعوها.

وإذا ما تم مستقبلاً، بعونه تعالى، توقيع اتفاق سلام بين الطرفين فإن إسرائيل ستؤدي لا محالة دوراً جدياً في المجهود الإقليمي والدولي وستساهم في تكريس الدولة الفلسطينية اقتصادياً مثلما تشارك في الآلية الدولية لدعم وتأهيل اللاجئين. إننا سنمارس ذلك حياً وكرامة ليس من منطلق الشعور بالذنب بل على أساس اعتبارات إنسانية صرفة ومن أجل إرساء الجيرة الحسنة. إنه تعهد والتزام من جانبنا.

أما في الختام فأود الاستشهاد بما قاله ذات مرة الدكتور حاييم فايتسمان الذي أسهم كثيراً في وضع الأسس السياسية لقيام دولة إسرائيل: "إن الدولة أياً كانت لن تأتي على صحن من فضة" علماً أن هذه الجملة أصبحت فيما بعد عنواناً للقصيد الخالدة "صحن من فضة" التي نظمها الشاعر ناتان ألترمان.

إننا نعيد إلى الأذهان ونشيد في هذا اليوم، حيث تلتئم الكنيست الإسرائيلية السيادية لإحياء الذكرى الستين لقرار التقسيم، بكل من شق الطريق الذي أدى بالمشروع الاستيطاني اليهودي في أرض إسرائيل إلى تلك اللحظة التاريخية العظيمة ألا وهم الطلابيون والمستوطنون والبناء ومخلصو الأرض ومقاتلو التنظيمات السرية "الهaganah" والتنظيم العسكري الوطني و"المحاربون من أجل الحرية" والمقاتلون الذين تم إعدامهم شنقاً [على أيدي الانتداب البريطاني] والقادمون الجدد سراً والمقاتلون على مرّ العصور المتعاقبة وأصحاب الرؤى ورجال

العمل الذين حققوا رؤاهم. إنهم يشكلون جميعاً مفخرة لنا ومثار مجد وإعجاب. إننا نعيش في هذه الديار اليوم بفضل ما قاموا به.

إنني أبتهل إلى الله عز وجل في أن نقود سوية دولة إسرائيل في مسارات من السلام والأمن تحقيقاً لنبوة إشعياء الخالدة: "ويكون صنع العدل سلاماً.. ويسكن شعبي في مسكن السلام وفي مساكن مطمئنة وفي محلات أمينة" (الإصحاح 32 الأيتان. 17-18)

ليتها أصبحت حقيقة.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx